

"نشأة الزوايا العلمية في ليبيا وأثرها في المجتمع"

د. رجب فرج أبو دقاقة⁽¹⁾

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

وبعد: فقد نزل القرآن الكريم على قلب محمد ﷺ منجما على مدى ثلاث وعشرين سنة، فحفظه ووعاه، ودعا صحابته الكرام لحفظه، والاهتمام به، فكان مسجده المبارك مدرسة علمية تربوية، بل جامعة علمية متميزة، يحفظ فيها كتاب الله، وتفسر معانيه، وترسخ مبادئه السامية، وكان هذا المنهج النبوي هو النواة الأولى لنشر المعرفة بين أفراد المجتمع.

واقتداء بالرسول الكريم - في نشر العلم والمعرفة - اجتهد المسلمون بفتح المراكز العلمية في كل مدينة يفتحونها، وكان أشهر هذه المراكز المساجد، والرباطات، والزوايا التي عمت الصحارى، والواحات، والمناطق الساحلية، وقد رُتبت وصُنفت هذه الركائز العلمية الأساس وفق مقتضيات الزمان، والمكان، والأهمية.

بدأ عملهم الأساس بتعليم القرآن الكريم وعلومه المختلفة، فحفظوا القرآن، وأتقنوا علومه، ودونوه مجزءا في الربعات، ومتكاملا في مصاحف مخطوطة، قبل أن تنتشر صناعة الطباعة، وكان لهم السبق في ذلك، ولتحقيق كل هذا نهجوا طرقا متعددة، فكانت المساجد والكتائب، والزوايا هي المنطلق الذي تحققت من خلاله الأهداف.

وهذه السانحة العلمية نخصصها للحديث عن الزوايا العلمية التي انتشرت في بلاد الإسلام شرقا وغربا، ونماذج للزوايا في ليبيا التي قامت بالدور العلمي والتربوي عبر التاريخ، وكان لها أثرها في المجتمع، وذلك من خلال المحور الأول المتعلق بالحركة العلمية في ليبيا والورقة بعنوان: (نشأة الزوايا العلمية في ليبيا، وأثرها في المجتمع)، وذلك مشاركة في المؤتمر العلمي المقام بزواوية المحجوب بمصراتة.

1. عضو هيئة التدريس بجامعة المرقب.

والورقة البحثية تشتمل على توثيق عدد من العناصر التي تحقق من خلالها هذا الهدف، فهي تناول نماذج لأشهر المساجد في البلاد، وأثرها في تحفيظ كتاب الله تعالى، والمحافظة عليه، ومن ثم تشير إلى بعض العلماء الذين كرسوا جهودهم لذلك، وتركوا بصمات تذكر فتشكر، كما توثق لعدد من الزوايا والكتاتيب في مختلف المناطق، وتخصص حيزاً مهماً يبرز النشأة والتطور، بالإضافة إلى الدور الرائد الذي قامت به في مناطق مختلفة من البلاد، لتحفيظ القرآن الكريم ونشر المعارف والعلوم. وتضمنت هذه الورقة - بعد المقدمة -: (مبحثين، وخاتمة).

المبحث الأول: "نشأة الزوايا، وتطورها، وأهميتها في المجتمع".

المبحث الثاني: "أهم الزوايا، ودورها في تحفيظ القرآن ونشر الثقافة والمعرفة".

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله الذي علم وأهم، ووفق وأنعم، وهدى من أذعن وأسلم، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن طلب العلم ركيزة أساسية، والبحث في وسائله وتبع آثاره من الضرورات التي لا غنى عنها لأي إنسان؛ إذ كان أول أمر من السماء على نبي هذه الأمة هو الاتجاه نحو التعلم والقراءة، والأخذ بأسبابها وأدواتها، حيث صدع جبريل مبلغاً عن رب العزة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (1)؛ لتكون الانطلاقة من جزيرة العرب متجهة إلى أرجاء المعمورة بأن: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ" (2)، فهو وسيلتهم للخروج من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الأمية إلى نور العلم والمعرفة. ومنذ نزول القرآن الكريم على قلب محمد ﷺ تلقفه بلهفة وشوق، فحفظه ووعاه، ودعا أصحابه إلى حفظه وإتقانه، وكان مسجده المبارك مدرسة علمية تربوية، بل جامعة متميزة، يُحفظ فيها كتاب الله، وتُفسر

1. سورة العلق: الآيات: (1 - 5).

2. شعب الإيمان للبيهقي، من رواية أبي سعيد الخدري، مكتبة الرشد، الرياض: 275/2.

معانيه، وترسخ مبادئه السامية. وكان هذا المنهج النبوي هو النواة الأولى لنشر المعرفة بين أفراد المجتمع.

واقترء بالرسول الكريم في نشر العلم والمعرفة اجتهد المسلمون بفتح المراكز العلمية في كل مدينة يدخلونها، وكان أشهر هذه المراكز: المساجد، والرباطات والزوايا التي عمت الصحارى، والواحات، والمناطق الجبلية والساحلية، وقد رُتبت وصُنفت هذه الركائز العلمية الأساس وفق مقتضيات الزمان، والمكان، والأهمية، حيث بدأ عملهم الأساس بتعليم القرآن الكريم وعلومه المختلفة، فحفظوا القرآن، وأتقنوا علومه، ودونوه مجزءاً في الربعات، ومتكاملاً في مصاحف مخطوطة، قبل أن تنتشر صناعة الطباعة، وكان لهم السبق في ذلك، ولتحقيق كل هذا نهجوا طرقاً متعددة، فكانت المساجد والكتاتيب، والزوايا هي المنطلق الذي تحققت من خلاله الأهداف.

وهذه الورقة العلمية نخصصها للحديث عن دور الزوايا العلمية التي انتشرت في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، ونوثق لنماذج من الزوايا في ليبيا التي قامت بالدور العلمي والتربوي عبر التاريخ، وكان لها أثرها في المجتمع، وذلك من خلال المحور الأول المتعلق بالحركة العلمية في ليبيا، وعنوان الورقة: "نشأة الزوايا العلمية في ليبيا، وأثرها في المجتمع".

وذلك مشاركة في المؤتمر العلمي الأول المقام بزواوية المحجوب بمصراتة؛ للاحتفاء بالذكرى المئوية السابعة لتأسيس زاوية الشيخ العالم الفقيه: إبراهيم المحجوب.

إشكالية البحث: خلال حقبة تاريخية مثلت الزوايا والكتاتيب دوراً أساسياً في الجانب الثقافي والمعرفي، وانتشرت في مناطق متعددة من بلادنا، وهناك جملة من التساؤلات التي تقدم في هذا الشأن عن نشأة هذه الزوايا العلمية، والأهمية التي تمثلها، وعن مدى تأثيرها التربوي والاجتماعي، وهل كان لها دور سياسي؟ وما أهم الزوايا في ليبيا التي كان لها الأثر البارز في كل هذه الجوانب؟

الدراسات السابقة: موضوع الزوايا تناوله عديد الباحثين والكتّاب من جوانب مختلفة، وفي عصور متعاقبة، تجسد ذلك من خلال تتبعهم للحياة العلمية والتربوية في المغرب العربي بعامة، وفي بلدنا ليبيا على وجه الخصوص، فقد كتب جمال الدين القادري: (مؤسسة الزوايا في المغرب بين: الأصالة والمعاصرة)، وتحدث محمد حجي عن: (الزاوية الدلالية ودورها العلمي)،

وكتب غيرهما عن: (تاريخ الجزائر الثقافي)، وتضمن: (التذكار)، لابن غلبون، و(أعلام ليبيا)، للطاهر الزاوي، جانباً من تاريخ الزوايا، وبشيء من السرد التاريخي كتب أحمد مختار عمر: (النشاط الثقافي في ليبيا منذ الفتح الإسلامي)، وتناول عبد الحميد الهرامة: (الحياة العلمية في الجبل الغربي)، ولم يتوان الرحالة عن الإدلاء بدلوهم في تناول دور الزوايا من خلال ترحلهم مروراً بهذا البلد، كـ(رحلة الحشائشي إلى ليبيا)، التي تتبع خطواتها محقق الكتاب: علي مصطفى المصراطي، وكذلك (رحلة التيجاني)، لأبي محمد عبد الله التيجاني التونسي، حيث مرَّ كلٌّ من الحشائشي والتيجاني في رحلتهما بعدد الزوايا والكتاتيب في ليبيا، ووصفاً المناشط العلمية بها، والدور الذي تقوم به في المجتمع، كما تحدثا عن المكتبات الملحقة بالزوايا العلمية وعن الكتب والمخطوطات النفيسة بتلك المنارات العلمية، ومختلف هذه الكتابات كانت تتناول جوانب محددة، وقضايا معينة تتعلق بالزوايا العلمية في إحدى المدن أو الأقطار، وفي مرحلة زمنية دون سواها.

أما الورقة البحثية التي بين أيدينا فتشمل توثيق عدد من العناصر التي يمكن من خلالها تحقيق جملة من الأهداف، فهي تتناول نماذج لأشهر المساجد في البلاد؛ لكونها المنطلق الأساس لنشأة الزوايا، مع الإشارة إلى أثر المسجد في تحفيظ كتاب الله تعالى، والمحافظة عليه، ومن ثم تشير إلى بعض العلماء الذين كرسوا جهودهم لذلك، وتركوا بصمات تذكر فتشكر، كما توثق الورقة لعدد الزوايا والكتاتيب في مختلف المناطق، وتخصص حيزاً مهماً يبرز النشأة والتطور، بالإضافة إلى الدور الرائد الذي قامت به في مناطق مختلفة، لتحفيظ القرآن الكريم ونشر المعارف والعلوم، وأهم الوظائف التربوية والاجتماعية التي تحققت من خلال الزوايا، وتضمن الورقة: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: نشأة الزوايا وتطورها وأهميتها في المجتمع.

المبحث الثاني: أهم الزوايا ودورها في تحفيظ القرآن ونشر الثقافة والمعرفة.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: "نشأة الزوايا، وتطورها، وأهميتها في المجتمع"

انطلقت الدعوة الإسلامية برسالتها الخالدة، تخاطب من حولها، وتبشر بنور الإيمان والعلم والمعرفة، وكان ذلك في شكل فتوحات إسلامية تحرر الإنسان من العبودية والقهر والجهل والأمية، وتنقله من عبادة الأوثان والأشخاص إلى عبادة الإله الواحد، بدأت دعوتها بالبلاد المجاورة، ثم انطلقت في الآفاق، تخاطب الضمائر، فتستجيب لها العقول، تنتقل بفتوحاتها من قطر إلى آخر، وحين فتحت مصر واستتب لها الأمن فيها، توجهت الأنظار إلى الشمال الإفريقي، خصوصا بعد أن انتشرت الأخبار بين سكان البلاد المجاورة، تتحدث عن الشجاعة التي أبدتها العرب في مواجهة العدو، وما أظهره من عدالة أحكامهم في المساواة بين الناس في الحقوق واحترام الأديان السماوية، وقد أوكل إلى عمرو بن العاص (ت: 43هـ)، زمن خلافة عمر بن الخطاب قيادة الجيوش المتجهة إلى إفريقيا، وكان الهدف الأساس من الاتجاه نحو برقة وطرابلس تأمين الحدود الغربية؛ تمة لمتطلبات الأمن الإقليمي، إضافة إلى المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتق العرب في نشر الإسلام.

توجه الفاتحون غربا إلى الشمال الإفريقي، بداية من ليبيا، حيث تم الفتح الإسلامي لإفريقيا على يد عبد الله بن أبي السرح سنة: 27هـ، في حملة اشترك فيها آلاف الصحابة، من بينهم مجموعة من قراء الصحابة، وفيهم: عبد الله بن عباس (ت: 68هـ)، وابن عمر (ت: 73هـ)، وابن الزبير (ت: 73هـ)، ثم كانت الحملة الأولى التي قام بها عقبة بن نافع الفهري (ت: 63هـ)⁽¹⁾ في منتصف القرن الأول، وشارك فيها عدد من قراء الصحابة الذين أسسوا رباطات الجهاد⁽²⁾، وكانت تلاواتهم تسمع كدوي النحل، وبعد عقبة جاء حسان بن النعمان⁽³⁾ سنة: (78هـ) الذي روي أنه عهد إلى ثلاثة عشر من قراء التابعين

1. عقبة بن نافع بن عبد قيس الأموي، ولد في حياة النبي ﷺ، ولاه عمرو بن العاص على إفريقيا سنة: (42هـ)، ثم ولاه معاوية أيضا سنة: (50هـ)، فسير جيشا جارا وصل إلى وادي القيروان، فبنى فيه مسجدا، لا يزال إلى اليوم يحمل اسمه، وفي عهد يزيد بلغ بحيشه المحيط، وفي طريق العودة حاصره كسيلي والفرنجة فقتلوه سنة: (63هـ). ينظر: فتح العرب للمغرب: 130، والوقيات، لابن قنفذ تحقيق: عادل نويهض: 59، 60.

2. الرباط: قلعة مرتفعة تشبه المسجد، يربط فيها عيون المسلمين لمراقبة تحركات جند العدو وعدده: تاج العروس، للزبيدي، مادة: (ر.ب.ط).

3. حسان بن النعمان بن عدي الملقب بالشيخ الأمين، من أبناء ملوك الغساسنة، ولاه معاوية إفريقيا، أمر ببناء جامع الزيتونة، (ت: 86هـ)، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: 66، والدولة العربية في أسبانيا، إبراهيم بيضون: 57.

بتعليم القرآن، وبعده بعشر سنوات تقريبا تابع موسى بن نصير⁽¹⁾ المهمة، وحث العرب على تدريس القرآن الكريم واللغة العربية للسكان المسلمين من غير العرب، كما اهتم ببناء المساجد والرباطات.

وفي نهاية القرن الأول الهجري أرسل الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز (ت: 101هـ) بعثة متخصصة لتعليم القرآن، تضم أعلام القراء، على رأسهم المقرئ: إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر⁽²⁾، تلميذ عبد الله بن عامر الشامي⁽³⁾، الذي ولّاه عمر بن عبد العزيز إفريقية سنة: (100هـ)، فكان خير معلم، وخير أمير، وهو مؤسس مسجد القيروان الذي تحول فيما بعد إلى مدرسة للقراء والقراءات، وكان رائد هذه المدرسة محمد بن خيرون الأندلسي (ت: 306هـ)، وإلى جانب قراءة أهل الشام التي نقلها طلاب عبد الله بن عامر كانت القراءة التي اشتهرت بإفريقية والأندلس هي قراءة الإمام حمزة⁽⁴⁾، وهي التي نقلها قراء الكوفة الذين كانوا ضمن قافلة الفاتحين، وأول من أدخل مصحف نافع وموطأ مالك إلى الأندلس هو الغازي بن قيس الأندلسي (ت: 199هـ)⁽⁵⁾، ويبدو أن عددا من القراءات المتواترة قد نقلت إلى هذه البلاد، وتواترت بين الحفظة، وهو ما نتج عنه تأسيس بعض المدارس القرائية، بينها مدرسة القيروان التي أسسها أبو عبد الله محمد ابن خيرون الأندلسي⁽⁶⁾، الذي قدم إلى القيروان بعد رحلة علمية، فاستقر بها، وأسس جامعا سنة: (225هـ)، ورسخ فيها قراءة نافع المدني (ت: 169هـ)، حتى صارت هي القراءة الرسمية

1. موسى بن نصير اللخمي: فاتح إفريقية والأندلس أيام الوليد بن عبد الملك، طلب منه الوليد التوقف عن التوغل في أوروبا، فعاد إلى القيروان، ثم إلى دمشق، حيث بقي مستشارا وقائدا للجند، ذهب إلى الحج رفقة الخليفة فات بوادي القرى سنة: (97هـ)، البداية والنهاية لابن كثير: 256/6.

2. أبو عبد الحميد إسماعيل بن أبي المهاجر، تابعي، فقيه، وأحد رواة الحديث، من أهل دمشق، كان يؤدب ولد عبد الملك بن مروان، ولي إفريقية في خلافة عمر بن عبد العزيز، ت: (132هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي؟؟؟

3. عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام وأحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن أبي الدرداء والمغيرة، وروى عنه يحيى الذماري، وابن أبي المهاجر، (ت: 118هـ). ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري: 423/1.

4. حمزة بن حبيب الزيات، إمام أهل الكوفة، وأحد القراء السبعة، قرأ على سليمان الأعمش، وابن أبي ليلى، وروى عنه كثيرون منهم: سليم، وسفيان الثوري، والكسائي، كان عالما ثقة، بصيرا بالفرائض، عارفا بالعربية، حافظا للحديث، (ت: 156هـ). ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري: 261/1.

5. أبو محمد الغازي بن قيس الأندلسي، أخذ القراءة عرضا وسمعا عن نافع، وضبط عنه اختياره، صحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة، ينقل عنه الداني في المقنع كثيرا، (ت: 199هـ). ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري: 2/2.

6. ينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض: 313/4، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، لمحمد ولد أباه: 189.

(قراءة أهل البلد)، بعد أن أصدر القاضي: أبو العباس عبد الله بن طالب أمرا إلى محمد بن برغوث القروي القارئ (ت: 272هـ): أن لا يقرئ بسواها⁽¹⁾.

وكان أثر المدرسة القيروانية واضحا في المحيط، حيث انتقلت قراءة نافع إلى القطر الليبي، وانتشرت بروايتها: (رواية قالون، ورواية ورش)، حتى صارت قراءة أهل البلد، ولا تزال حتى الآن تُعَلَّم في مراكز التحفيظ، والزوايا والمساجد، وإن غلبت رواية قالون في الانتشار عند الحفاظ أكثر من رواية ورش، ولا غرو في أن يتخصص الليبيون وعموم المغرب في حفظ كتاب الله بهذه القراءة، مع التعمق في قواعد رسمه وضبطه، وتنوع طرقه ورواياته وفق ما ورد في حديث الأحرف السبعة عن المصطفى⁽²⁾، مع إحاطة رسمه وأدائه بترسانة من القواعد، تجعله في مأمن من العبث والتصحيف والتحريف، سالما في رسمه، مدققا في ضبطه، مجودا في أدائه، غضا طريا كما تلقي من السلف الصالح عن رسول الله⁽³⁾.

والدراسات التاريخية تؤكد أن أهل هذا البلد قد تعلقوا بهذا الكتاب العزيز، من خلال كُتَّاب المساجد وحلق الزوايا المنتشرة في السهل والجبل، وبدلوا جهدهم ووقتهم في حفظه وإتقانه، بل ونسخه في مصاحف، من بينهم الشيخ: محمد بن عبد الحميد بن مغيطير النفوسي الجناوني، الذي كان معلما وفقها، فقد حفظ القرآن الكريم، ونسخه بخط يده، وتولى تعليمه لأبناء بلده، وكان يتصف بالهيبة والوقار، ومحل ثقة الحكام في ذلك العهد⁽⁴⁾.

ومع كثرة التقلبات السياسية والاجتماعية والحقبة الاستعمارية التي مرت بها بلادنا، فقد كانت الكُتَّاب والخلاوي في المساجد والزوايا تزخر بهؤلاء الرواد الذين حافظوا على النص القرآني، محفوظا في الصدور، ومكتوبا في السطور.

1. ينظر: تاريخ القراءات بالمشرق والمغرب، ل محمد المختار ولد أباه: 189، وترتيب المدارك: 313/4.
2. نص: "إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"، صحيح البخاري: (4992)، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف.
3. ينظر: المنهاج في رسمية الجراح، للفقير عبد الواحد الرجراجي: 4، وما بعدها.
4. محمد بن عبد الحميد الجناوني: من قرية جناون بجبل نفوسة، من أوائل أباضية المغرب الذين رحلوا إلى المشرق للتعلم، فدرس على أبي عبيدة بالبصرة، ثم رجع إلى جبل نفوسة فتولى التعليم والإفتاء، عمّر طويلا، عدّه بعضهم من تابعي التابعين، (ت: 160هـ). ينظر: الأباضية في موكب التاريخ، لعلي يحيي معمر: 27/1، 30، والنشاط الثقافي في ليبيا، لأحمد مختار عمر: 131 - 134.

ويمكننا أن هنا نشير إلى أشهر المساجد والزوايا مع إبراز الأدوار التي قامت بها في هذا المجال:
أولاً: دور المساجد في تحفيظ كتاب الله ونشر العلوم والمعارف: ما أن استقر المقام بالفتاحين في هذا البلد، حتى بدأ عمل الصحابة بما بدأ به الرسول ﷺ حين هاجر إلى يثرب، وهو بناء مسجده المبارك، فكان تشييد المساجد أول ما فكر فيه قادة الفتح؛ لكون المسجد المكان الأمثل لتبليغ رسالة الإسلام، وتأدية العبادات، ففيه نثلى آيات القرآن، وتدرس تعاليم الدين الحنيف واللغة العربية، وفيه يلتقي القادة للتشاور في أمور العباد والبلاد؛ لذلك كانت بلادنا عامرة بالمساجد التي تحملت هذه المسؤولية، ولا تزال تحمل أسماء الصحابة الفاتحين، كما تحمل أسماء العلماء الأفاضل، الذين نذروا أنفسهم للمحافظة على كتاب الله، ونشر تعاليم ديننا، وترسيخ قواعد لغة القرآن، فعمرو ابن العاص (ت: 43هـ)، بعد دخوله طرابلس أسس المسجد الجامع أمام باب هواره، داخل سور المدينة، والذي أصبح منارة للعبادة، وإقامة الدروس الدينية، بالإضافة إلى تحفيظ كتاب الله، وتدريس علوم الدين واللغة، ولا يزال المسجد شامخاً يحمل اسم الصحابي الجليل، وفي مدينة البيضاء بالجبل الأخضر ينير اسم الصحابي رويفع الأنصاري (ت: 56هـ)، فوق المسجد الذي يخلد اسمه، بل إن شهرة مدينة درنة - على الرغم من معالمها المتعددة، وشلالها المتميز - فإنها تتجسد في المسجد الذي يحمل اسم: (مسجد الصحابة).

أما علماء البلاد الذين كرسوا جهدهم ووقتهم وعلمهم ليناله أبناء بلدهم، بل وأبناء المسلمين الوافدين إلى هذه الأماكن، فقد خلدتهم التاريخ، وبنيت المساجد في هذه الأماكن؛ لتحمل أسماءهم، ومن هؤلاء:

- الشيخ عبد الواحد الدوكالي، الذي درّس القرآن، وثلهذ عليه الكثيرون، والمسجد المسمى باسمه بمدينة مسلاتة يشهد له بذلك، فقد كان عامراً بطلاب القرآن الكريم ولا يزال⁽¹⁾.

1. عبد الواحد محمد الدوكالي، فقيه مالكي، قدم والده من المغرب، عام: (770هـ)، ثم رحل إلى مصر لطلب العلم، انتفع بعلمه كثيرون، لا يعرف له تاريخ وفاة، إلا أن تلميذه عبد السلام الأسمر ذكر أنه عاش: (130) عاماً، ودفن بقرية زعفران بمسلاتة. ينظر: التصوف الصحيح: 172.

- الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري بمدينة زليتن، وهو من علماء القرن التاسع، فالمسجد المسمى باسمه علم بارز في تدريس القرآن والسنة عبر قرون خلت⁽¹⁾.

- مسجد الشيخ أحمد زروق بمدينة مصراتة ومئذنته الشاخنة، وأهمية الدور الذي يؤديه هذا المسجد في تحفيظ القرآن منذ منتصف القرن الثامن حتى الآن، علاوة على مكتبته العامرة⁽²⁾.

فهذه المساجد وغيرها كثير، كانت وما زالت تهتم بالمحافظة على النص القرآني، محفوظا ومكتوبا في الألواح الخشبية والقراطيس، والاهتمام بنشر المعارف والعلوم، وذلك من خلال خلاوي الكتائب، والزوايا العلمية، وكما كان المسجد يقوم بدور بارز كانت الزوايا تأوي الطلاب الوافدين من مختلف الأماكن، وتقوم بدورها التعليمي والتربوي والاجتماعي⁽³⁾.

ثانيا: نشأة الزوايا والكتائب: تعددت أسماء الزوايا في مختلف أقطار العالم، فالزاوية في مناطق إيران يطلق عليها الخانقات، وفي غرب آسيا تسمى الخلوة، وفي تركيا يطلقون عليها التكايا، وفي الشمال الإفريقي الزاوية.

والزاوية في الأصل هي الركن من البناء. أما في اللغة: فالزاوية مشتقة من الانزواء والانطواء والانعزال، والبعد عن الحياة العامة والأسواق، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض: تدانوا، وتضامنوا، ويقال انزوت الجلدة في النار إذا انقبضت واجتمعت، وفي حديث ثوبان يقول الرسول ﷺ: "زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها..." الحديث⁽⁴⁾، وورد أن ابن عمر (ت: 73 هـ): كانت له أرض زويتها أرض أخرى، أي: قربت منها، وقيل: أحاطت بها مما يفيد الإحاطة والقرب، وزويتُ الكلام: حبسته وأسرته في نفسي،

1. عبد السلام بن سليم الفيتوري الإدريسي، من أهم دعاة الإسلام في القرن العاشر، فقيه مالكي، وأحد ركائز الحركة العلمية والدعوية، من آثاره: رسالة في أصول العقيدة، والوصايا الكبرى والصغرى، والأنوار السنية، (ت: 981هـ) ينظر: رسائل عبد السلام الأسمر إلى مردييه، لمصطفى رابعة: 13، 16.

2. أحمد زروق بن عيسى البرنسي الفاسي، فقيه مالكي، ولد بتازة بالمغرب، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن علماءها، وبرع في الفقه المالكي، وأسس زاويته بمصراتة التي اختار الإقامة بها عام: (886هـ)، وكان للزاوية دورها في الحياة العلمية والاجتماعية، من آثاره: فتح المواهب وكنز المطالب، والنصيحة الكافية، (ت: 899هـ). ينظر: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لأحمد النائب الأنصاري: 183.

3. ينظر: دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، لعبد الله الشريف ومحمد الطـــــوير: 19، ومعجم البلدان الليبية: 163.

4. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله القزويني، حديث: (3207).

وهي مأخوذة من الفعل: انزوى، ينزوي، بمعنى: اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد⁽¹⁾، وقد عرف الانعزال قبل الإسلام، حيث حدثنا القرآن عن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام واعتزاله قومه، قال تعالى: {وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي} ⁽²⁾، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد انزوى عن قومه، واتخذ من غار حراء مكانًا للتأمل والتعبد. أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد خرج الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (ت: 32هـ) إلى الصحراء معتزلًا قومه؛ لاعتراضه على بعض الأحوال السياسية والاجتماعية، فكان يقضي وقته متعبداً، إضافة إلى أن خلوته التي يقيم بها كانت دار ضيافة واستقبال المسافرين.

وبهذا التعريف (اللغوي) يمكن عدُّ الزاوية بأنها ركن من أركان المسجد يتخذ للاعتكاف والتعبد، ثم تطورت إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات، وتعدُّ فيها حلقات دراسية في علوم الدين، وما يتصل بالعلوم العقلية والنقلية، بينها حلقات للذكر⁽³⁾، ولعل الزاوية مأخوذة من الانزواء، ويقصد به العكوف على العبادة، أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاغلهم، وقد يكون مسمى الزاوية في الإسلام قد جاء من منطلق الانزواء عن الفتنة، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "أن رجلاً جاء إلى النبي يسأله: أي الناس أفضل يارسول الله؟ فقال الرسول: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، قال: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعب يعبد ربه... الحديث" ⁽⁴⁾.

والزاوية أيضاً: رباط المجاهدين في سبيل الله وحافظ الثغور، وجاء في دائرة معارف القرن العشرين بأن الزاوية هي مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة⁽⁵⁾.

ثالثاً: نشأة الزوايا: الزوايا هي رباطات للجهاد، ومؤسسات للتوعية الدينية، ومراكز للتعليم والدعوة، وفي ظل هذا المزج في المسمى فإنه من الصعوبة تحديد نشأة الزاوية بتاريخ معين،

1. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ز. و. ي)، وتاريخ الإسلام السياسي والديني، لحسن إبراهيم حسن: 4/401.
2. سورة مريم، من الآية: (47).
3. ينظر: المذاهب الصوفية، لعبد الحكيم عبد الغني: 132.
4. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، حديث رقم: (1888).
5. ينظر: دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي: 10/332.

وقد يكون مكان الاجتماع للذكر مكانا موقوفا على الطلاب والمريدين⁽¹⁾، والملاحظ أن عديد المؤرخين لم يكونوا يميزون بين الرباط والزاوية، فقد يطلق المصطلحان على المكان واحد، فإطلاق أحدهما على الآخر قد تم في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك بالنظر لتداخل الوظائف، فيحدد الإطلاق بتغليب أحدهما على الآخر، وكان ابن بطوطة⁽²⁾ يطلق على الزاوية اسم: (رواق)، بل إن بعضهم يطلقون على حلقات الدرس اسم مدرسة حيناً، واسم زاوية حيناً آخر، وتشير عديد المصادر بأن النشأة قد بدأت منذ أواخر الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، واستمرت خلال حكم المرابطين، وهي المرحلة التي تميزت بغلبة الجانب الجهادي عبر انتشار الرباطات الجهادية، ونتج عن ذلك ظهور التمازج بين الفقه والأفكار الناتجة عن حياة الرباط المعتمدة على الزهد ومفاهيم الجهاد والتضحية من أجل نشر الدين⁽³⁾، ولعل أهم ما يميز الرباط عن الزاوية أنها قريبة من مواقع الأعداء، وتأسيسها غالباً يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد، والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء المهمة العلمية، وموقعها قريبة من البحر في الغالب.

رابعاً: وظائف الزوايا: برز دورها في المجتمع منذ ظهورها، حيث اطلعت بجملة من الوظائف والأدوار أهمها:

1. وظيفة دينية: حيث مثلت دور المؤسسة الدينية، التي تمارس فيها العبادات من صلاة، وتلاوة وأذكار وحلقات وعظ، وغيرها من المناشط الدينية.
2. وظيفة تعليمية: فهي تؤدي مهمة التعليم والتربية، تعلم القرآن وتنشر معارفه وعلومه، وتعمق مفاهيمه في النفوس، فهناك تلازم عميق بين الزاوية ووظيفتها الدينية والعلمية؛ إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد، فهي لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية، بل جعلت من المهمتين معا صورة واحدة للإسلام الصحيح الذي لا يقبل التجزئة بين الإيمان والعلم والعمل، فوظيفة الزاوية في الأساس التعليم، ومعناه الانفتاح على

1. ينظر: مؤسسة الزوايا في المغرب بين الأصالة والمعاصرة، لجمال الدين القادري: 256.

2. محمد بن عبد الله اللواتي: ولد بطنجة عام: (703هـ)، وهو رحالة ومؤرخ، أمضى في ترحاله أكثر من (28) عاما، وتوفي بمراكش عام: (779هـ). ينظر: مقدمة كتابه: رحلة ابن بطوطة، المسمى: تحفة الأنظار وغرائب الأمصار، شرح وتعليق: طلال حرب .

3. ينظر: مؤسسة الزوايا في المغرب: 260.

المجتمع، وقابلية المعلمين لاستقبال الطلاب والدارسين من مختلف الأماكن والجهات، وعلى مختلف طبقاتهم وتوجهاتهم السياسية والاجتماعية، وهو ما يتنافى مع معنى الزاوية التي سماها مشتق من: الانطواء، والانعزال، والانزواء.

3. وظيفة اجتماعية: من خلال بروزها في الوظيفتين المتقدمتين تبوّأت مكانتها في النفوس، فتطلعت إلى القيام بمهمة سامية في المجتمع تمثل في التكافل الاجتماعي، ومهمة الإصلاح بين المتخاصمين، والتقارب بين أفراد المجتمع، والقيام بالصلح والتحكيم، فضلا عن استضافة المسافرين، وإيواء الغريب، ومن خلال ما ضمنتها للقبائل من أمن وطمأنينة، تمثل في فض المنازعات وحل المشكلات، تبوّأت الزوايا مكانة اجتماعية متميزة، وقد عثر المؤرخ: أحمد الدجاني على وثيقة مؤرخة في: 9/ رجب/1297هـ، تتحدث عن خصام وقع بين أهالي هون وسوكنة في الجنوب الليبي، واستطاعت زاوية هون السنوسية أن تزيل الإشكال وتقيم التصالح، والوثيقة مقدمة إلى متصرف فزان تفيد بإنهاء الخلاف⁽¹⁾.

4. وظيفة جهادية: تمثلت في الإعداد والاستعداد لمعارك الجهاد ضد العدو، بالإضافة إلى مجاهدة النفس، والصبر على نزواتها وشهواتها محققة بذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (2).

والسؤال الذي ينبغي عرضه في هذا المقام: هل كانت مؤسسة الزوايا ولا تزال تمثل ذلك الركن وحجر الزاوية في البناء الاجتماعي والتربوي والروحي من خلال إسهاماتها في الجوانب السياسية والدينية والتربوية؟ أو أنها تحولت إلى المعنى اللغوي الآخر للزاوية، وهو الابتعاد، والانعزال، والانطواء؟

لعل المبحث التالي يتضمن بين ثناياه إجابة لبعض هذه التساؤلات، من خلال تناول نماذج من الزوايا العلمية التي انتشرت في مختلف المناطق في بلادنا، وما قامت به من الوظائف التي سبقت الإشارة إليها.

1. ينظر: الزوايا السنوسية في إفريقيا، لعل الصلابي: 86، 87.

2. سورة العنكبوت، الآية: (69).

المبحث الثاني: "أهم الزوايا، ودورها في تحفيظ القرآن ونشر الثقافة والمعرفة":

انطلق الإشعاع المعرفي عند المسلمين من المسجد الذي كان يمثل دور العبادة والتعليم والقضاء وإصلاح ذات البين والتشاور في أمور المسلمين، ولتعدد الأدوار الموكلة إلى المسجد تفرعت عنه مرافق أخرى تسهم في هذه الأدوار، وتؤدي جملة من هذه الوظائف، منها: الرباطات التي تقوم بالمهام ذاتها، إضافة إلى حماية الثغور ومراقبة العدو، وكذلك الزوايا التي تعد من أهم مراكز الإشعاع في بلادنا، حيث أسهمت في نشر الثقافة والمعرفة، وخرّجت عديد الفقهاء والحفاظ، فكان الطلاب الذين يرتادونها يدرسون القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، والتوحيد، والأدب، والتاريخ، والسيرة وغيرها، حيث إنها تستقبل طلاب العلم الوافدين إليها من المناطق البعيدة، وتوفر لهم الإقامة والتموين مدة الدراسة، وذلك من خلال الموارد التي تصلها من الأحباس الموقوفة عليها من أهل البر، كما تستقبل المعلمين القارين، وتستضيف العلماء المارين بها في وفود الحجيج أو المسافرين لطلب العلم. وقد توزعت الزوايا في القرى والأرياف والصحارى والواحات، ومن بينها: زاوية الشيخ: إبراهيم المحجوب الواقعة غرب مدينة مصراته، التي يعقد هذا المؤتمر في رحابها في ذكرى مرور سبعة قرون على إنشائها، حيث يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام: (742هـ)، بعد أن وفد مؤسسها من المغرب الأقصى مع أسرته التي استقر بعضها بتونس، أما هو فقد واصل رحلته إلى ليبيا واستقر بهذا المكان حيث أسس الزاوية⁽¹⁾.

وسأعرض في هذا المبحث نماذج للزوايا العلمية في مختلف المناطق الليبية، مشيراً إلى نشأتها، ودورها التعليمي، وأثرها في المجتمع، وسأشير أولاً إلى جملة من هذه الزوايا في بلادنا في أزمنة مختلفة، ثم أفرد بعض الزوايا للتعريف بها، وتوضيح جهودها، وإبراز دورها في المجتمع.

أولاً: عرض مجمل لعدد من الزوايا في بلادنا:

أنشئت في بلادنا عديد الزوايا العلمية، أنيط بها القيام بالدور التربوي والتعليمي، إضافة إلى الوظائف الاجتماعية الرائدة، وسأذكر هنا بعضاً منها مرتبة زمنياً:

1. ينظر: زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية: التأريخ والأصالة، لحمد المغربي وآخرين: 129.

- 1- زاوية الصابرية: موقعها غربي طرابلس، وتعتبر من أقدم الزوايا، وقد ألحق بها مسجد ومنازة لتعليم القرآن وتدرّيس مبادئ الدين الحنيف.
2. زاوية البازة في زليتن: أسسها الشيخ أحمد النجار قنونا سنة: 673هـ.
- 3 - زاوية أولاد سهيل بمنطقة قرب مدينة الزاوية: أسسها الشيخ أبو عيسى سهيل عام: 674هـ، وقد زارها الرحالة التيجاني سنة: 706هـ، عند مروره بليبيا⁽¹⁾.
- 4 - زاوية المحجوب: أسسها الشيخ إبراهيم المحجوب عام: 742هـ.
- 5 - زاوية الزروق بضواحي مدينة مصراتة: أسسها الشيخ أحمد الزروق، عام: 886هـ.
- 6 - زاوية أبي ماضي بمنطقة ككلة بالجبل الغربي: أسسها الشيخ عبد النبي الأصفر خلال القرن التاسع الهجري.
- 7 - زاوية الدوكالي بمنطقة زعفران بمدينة مسلاتة: مؤسسها الأول الشيخ عبد الله الدوكالي، إلا أن شهرتها كانت على يد الشيخ العالم الورع عبد الواحد الدوكالي، وهو من علماء القرن العاشر الهجري.
8. الزاوية الأسمرية بمدينة زليتن، وقد أسسها الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري المتوفى: 981هـ.
9. زاوية الصوفاق بسوق الخميس الخمس: أسسها الشيخ علي بن عبد الصادق الطرابلسي، (ت: 1138هـ)⁽²⁾.
10. زاوية الظاهرية بمنطقة أبي زيان قرب مدينة غريان: أسسها الشيخ: عبد الله بن السيد الشارف حوالي سنة: 1200هـ، ودرّس بها العالم العابد عبد العزيز الشنقيطي مدةً من الزمن، فقد طاب له المقام بها، بعد عودته من رحلة الحج.
11. زاوية العالم، بوادي الباقول، بالجبل الغربي: أسسها الشيخ: محمد العالم البوسيني، وهو من رجال القرن الثاني عشر للهجرة.

1. ينظر: ملاح الحياة الثقافية والفكرية في ليبيا أواخر العهد العثماني: 2013م، لمسعود عبد الله مسعود: 121، 122، والمنهج التعليمي في تحفيظ القرآن بالكاتب الطرابلسية، منشورات مركز جهاد الليبيين: 2008م، للعريني بشية: 391.

2. ينظر: أعلام ليبيا، للطاهر الزاوي: 265، والتذكّار، لابن غلبون، تحقيق الطاهر الزاوي: 271 — 272.

12. زاوية البخاخة بالجبل الغربي: أسسها العلامة سالم أبو الهول اليفرنى في عام: 1213هـ، فكانت منارة لمختلف المعارف والعلوم، ثم جددتها الشيخ عبد الله البارونى عام: 1322هـ، وألحق بها مرافق لسكن الطلاب وإيواء المغتربين.

13. زاوية طبقة: تقع في منطقة صحراوية قرب قرية مزدة، وموقعها على جادة قوافل الحج القادمة من غرب إفريقيا، ويرجع تأسيسها إلى العالم الشيخ: محمد الأزهرى عام: 1272هـ، وقد زارها الشيخ الطاهر الزاوي عام: 1932م، وذكر بأن مكتبها تحوي عديد المخطوطات في مختلف العلوم⁽¹⁾.

14. الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر: أسسها الشيخ: محمد بن على السنوسى الخطابى عام: 1275هـ، وكانت فاتحة لإنشاء عديد الزوايا في مختلف المناطق، داخل البلاد وخارجها، وكانت سببا في تنشيط الحركة العلمية بالمنطقة.

15. زاوية الجعوب: أسسها الشيخ السنوسى الخطابى في الواحة الصحراوية، فأصبحت محطة مهمة لركب الحج والمساافرين، وكان تأسيسها بعد زاوية البيضاء بالجبل الأخضر.

16. زاوية الرجبان: أسسها الشيخ: أبو القاسم العيساوي، وتاريخ تأسيسها كان مع بداية عام: 1282هـ.

17. زاوية ابن فضل بالعجيلات: تأسست عام: 1286هـ، وقد خرجت دفعات من الطلاب المتميزين الذين كانوا النواة لعديد الزوايا مثل: مزدة، والزنتان، والرجبان⁽²⁾.

18. زاوية السني: أسسها الشيخ عبد الله السني بقرية مزدة بالجبل الغربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى، فكانت مرجعا للفتوى، ودارا للتوثيق، ومكانا لإبرام العقود والتوثيق.

19. زاوية قرزة بمنطقة وادي زمزم: كانت بدايتها خلال القرن التاسع عشر الميلادى، وهي عبارة عن خيمة من الشعر، ثم تحولت إلى بناء، وموقعها على طرق القوافل بين الشمال والجنوب الليبي، من أبرز العلماء بها الشيخ: أبو القاسم البصير، بها مكتبة نقلت إلى نسمة.

1. ينظر: الحياة العلمية في الجبل الغربي، لعبد الحميد الهرامة، مجلة البحوث التاريخية، يناير: 1985م: 126.

2. ينظر: القرآن جمعه وتدوينه، لمصطفى هويدي، ندوة الكايتب والزوايا، منشورات مركز الجهاد: 2008م: 27.

20. زاوية عرادة بضواحي طرابلس: كانت منارة علمية، عامرة بالطلاب خلال عشرينات القرن الماضي الميلادي، درس بها الشيخ: عبد الله كشون.

21. زاوية عبد النبي بالخير ببني وليد: تأسست خلال القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر عطاؤها حتى عام: 1923م، إثر دخول الاحتلال لإيطالي إلى ليبيا.

ثانيا: التعريف ببعض الزوايا، وتوضيح أثرها في المجتمع:

1. زاوية أولاد سهيل: تقع هذه الزاوية في منطقة: أبي عيسى، قرب مدينة الزاوية، وقد أشرف على تأسيسها وإدارتها الشيخ: أبو عيسى سهيل، (ت: 674هـ)، وكان - رحمه الله - مشهورا بالتقى والصلاح، يُعنى بضيافة القادمين إلى الزاوية من الغرباء، من داخل البلاد وخارجها، وبخاصة من قوافل الحجاج من المغاربة وغيرهم، وقد شهدت الزاوية أوج ازدهارها في القرن الثامن للهجرة، وكثر عدد الطلاب من داخل المنطقة أو المناطق المجاورة أو البعيدة، حيث ألحق بها عدد من الغرف الخاصة بسكن الطلاب المقيمين بالزاوية، كما ألحقت بها مكتبة تحوي عديد الكتب والمخطوطات القيمة، الأمر الذي جذب انتباه الرحالة التيجاني⁽¹⁾، حين زار الزاوية، فذكر أن بها كتبا كثيرة محبسة، وتلقى الزاوية أموالا من الأحماس الموقوفة، تصرف على الطلاب والمدرسين، ويقتصر التعليم بها على تحفيظ القرآن الكريم فقط⁽²⁾.

2. زاوية أحمد زروق: يرجع الفضل في تأسيس هذه الزاوية إلى العالم المشهور الشيخ أحمد زروق، المولود بمدينة مصراتة عام: (846هـ)، حيث تعد من أهم المعالم التاريخية في المدينة، وقد سميت المنطقة التي بها الزاوية باسمه فيما بعد، كما كان له السبق في إنشاء أول معهد ديني ذاعت شهرته على مدى أربعة قرون ونصف، وبالإضافة إلى كون الزاوية معلما تاريخيا، فهي

1. أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني، الرحالة الأديب التونسي مواليد: 670هـ من آثاره: أداء اللازم في شرح مقصورة بن حازم، وهي ألفية حازم القرطاجني، والوفاء ببيان الشفاء، والدر النظيم في الأدب والتراجم، وتقييد الرحلة، وتقييد على صحيح مسلم وغيرها. ينظر: رحلة التيجاني، قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب: 29 وما بعدها

2. الفقيه المؤرخ محمد خليل بن غلبون، عاش في القرن الثاني عشر، وهو صاحب كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من أخبار، يسرد بعض الأحداث، ويترجم لعدد من الشخصيات الليبية. ينظر: نفحات النسرين والريحان فيمن كان في طرابلس من الأعيان، لأحمد بك النائب الأنصاري، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة: 1994م: 116.

كذلك منارة علمية ذات شهرة عالية، تخرج فيها عديد العلماء والفقهاء الذين وصلوا إلى الريادة في المجتمع، وتولوا مناصب القضاء والتدريس، وأسهموا في تعليم أبناء هذا البلد.

وقد ألحق بالزاوية معهد لتعليم القرآن الكريم وعلومه، تُوِّج مؤخرًا بإنشاء كلية للدراسات الإسلامية، وبالإضافة إلى مسجد الصلاة فقد ألحقت مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات في مختلف فروع المعرفة، ومشملة على مقتنيات الشيخ زروق من الكتب والمخطوطات والمراسلات، كما تحوي ما نسخه الطلاب مدة دراستهم بالزاوية، بالإضافة إلى عدد من الكتب والمخطوطات للعلماء والدارسين بالزاوية، ومن أشهرهم: العلامة ابن غلبون⁽¹⁾، والشيخ رمضان أبو تركية، وتقدر محتويات المكتبة بما يفوق: (700) مجلد من المخطوطات النادرة، وقد تعرضت خلال مرحلة الاحتلال للنهب والسرقة والسلب، أسوة بمثيلاتها من المكتبات القائمة آنذاك في هذا البلد، حيث بيعت عديد المخطوطات وهربت إلى الخارج، وأكبر دليل على ذلك وجود مخطوطات الزروق في مكتبة الأسكريال، بأسبانيا، والمكتبة السليمانية بتركيا⁽²⁾.

3. الزاوية الأسمرية: تأسست هذه الزاوية بمدينة زليتن على يد العالم العابد عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتوري، (ت: 981هـ)، وهي مؤسسة علمية ثقافية، كان غرض مؤسسها تحفيظ القرآن الكريم وإقامة دروس العلم في تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية لأبناء المسلمين، مع الاهتمام باللغة العربية وأصول التشريع الإسلامي، فكانت حلقة الوصل بين الماضي والحاضر على مدى خمسة قرون تقريبا، تئلي في أرجائها آيات القرآن الكريم، وتتردد بين جنباتها مرويات السنة النبوية، وبسبب ذلك لازمها المجاورون، وشدت إليها الرحال من أماكن بعيدة، كما كانت محطة توقف للحجاج والرحالة المارين بها من المغرب والمشرق، يقيمون ضيوفا على أهلها، يحضرون الدروس، أو يقومون بالتدريس، ويتحاورون مع علماءها.

وكان النظام السائد في الدراسة بالزاوية هو نظام الدراسة الحرة، فبعد إجازة الطالب للقرآن الكريم ينتقل إلى دراسة السنة، ووفق مستوى الطالب العلمي تحدد الكتب التي يستطيع دراستها، والحلقة الدراسية التي يختار الانضمام إليها، كما أخذت الزاوية بنظام الإجازة العلمية،

1. ينظر: لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس، لنجاح القاسبي: 213.

2. ينظر: المخطوطات العربية في الجماهيرية، واقعها وآفاق الاهتمام بها، مجلة الدراسات العلمية في المكتبات وعلم المعلومات، محمد أحمد جرناز، السنة: الثانية، العدد: الثاني، يوليو: 1997م: 22.

وهو تقليد علمي ساد تاريخ الثقافة الإسلامية منذ القرون الأولى، حيث يجاز الطالب في الكتاب أو العلم الذي أتقنه من قبل الأستاذ المعتمد، وهذه الإجازة تؤهله للتدريس في الفرع الذي أجزه فيه.

ومما ساعد في استقرار نظام التعليم في الزاوية الاستمرارية والاستقلال موارد الوقف، التي ترد إليها في كل الظروف والأوقات، فالطلاب لهم الربع من الوقف، والأساتذة المعتمدون لهم مرتبات جارية، وضيوف الزاوية من الحجاج والمارة، والعلماء الوافدون لهم نصيب من مدخرات الوقف أثناء إقامتهم، وهذا الأمر مكن لهذه الزاوية القيام بدورها بحرية، دون التأثير بقوى محلية، أو سلطات حاكمة عبر التاريخ الطويل.

من مرافق الزاوية مسجد الصلاة، ومرافقه، ومبنى إقامة الطلاب والضيوف، بالإضافة إلى المكتبة التي تضم مجموعة من الكتب والمخطوطات القيمة، قُدِّر عددها عام: 995هـ، بحوالي خمسمائة مجلد، جل مجموعاتها من المخطوطات، وهي في متناول الطلاب والأساتذة والباحثين في مختلف التخصصات⁽¹⁾.

4. زاوية الدوكالي: تقع زاوية الدوكالي العلمية بمدينة مسلاتة، بقرية تسمى زعفران، وقد أسسها الشيخ الفقيه العالم عبد الله الدوكالي أحد علماء القرن العاشر الهجري، وقد تميزت الزاوية بنهضة علمية خصوصا في مجال العلوم الدينية والعربية، بالإضافة إلى شهرتها في تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد برزت شهرتها بين المنارات العلمية بعد قدوم الشيخ عبد الواحد الدوكالي إليها؛ حتى صارت شهرتها مقرونة باسمه، وكان يقصدها الغرباء لحفظ القرآن ونيل العلوم المختلفة، وهي توفر لهم السكن والإقامة والمصروفات الضرورية؛ لأنها كانت تعتمد في تمويلها على أموال الوقف، للصرف منها على الطلاب والمعلمين والمحتاجين للإعانة، ويذكر الشيخ الطاهر الزاوي أن مؤسس الزاوية الشيخ عبد الله الدوكالي هو من أعلام القرن العاشر الذين نالوا شهرة عالية في طرابلس، وكان عالما ورعا، تقيا صالحا، منجبا على العلم طوال حياته، محبا لطلابه⁽²⁾.

1. ينظر: زاوية الشيخ بزيلطن: مسيرة علمية عمرها أربعة قرون، للصادق يعقوب، بحث مقدم في المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: 424 - 426.

2. ينظر: معجم البلدان الليبية، للطاهر الزاوي، مؤسسة الفرجاني: 1968م: 163.

5. زاوية الصوادي: تقع الزاوية بمنطقة سوق الخميس بمدينة الخمس، أسسها الشيخ العالم أبو الحسن علي بن عبد الصادق الطرابلسي الجبالي العبادي، من قبائل بني سليم، ولد بساحل آل حامد، يقال لأولاده الجبالية، أخذ العلم عن أبي إسحاق الجمني، والبليدي وغيرهما، وعنه ابنه أحمد وغيره، والشيخ أحد العلماء الأعلام، فهو فقيه، محقق، متقن، مفسر، يكره الابتداع في الدين، كانت له همة وسطورة، وقد أحصى له الباحث عمار بجحيدر أكثر من خمسة عشر كتاباً في: الفقه والعقيدة والطب والفلك، من بينها: اختصار رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومنظومة عيون النفس وشرحها، وشرح منظومة الفاسي، ومنظومة ابن عاشر⁽¹⁾.

وقد جاء في كتاب التذكار بأن الزاوية قد بنيت في حياة الشيخ، ثم أعيد بناؤها زمن أحمد باشا القره مالي، وكانت الزاوية منارة لتحفيظ القرآن وعلوم الشريعة واللغة وغيرها من العلوم، وكان يقد إليها عديد طلاب العلم من مختلف المناطق⁽²⁾.

6. زاوية الظاهرية: تقع هذه الزاوية بمنطقة أبي زيان قرب مدينة غريان، وتنسب في تسميتها إلى أسرة الظاهرية، المشهورة بالمنطقة، وقد تم تأسيسها على يد الشيخ: عبد الله بن السيد الشارف وفق ما ورد في معجم البلدان الليبية، وكان ذلك في عام: 1200هـ، جهزت الزاوية بالمباني الدراسية ومرافق السكن، ففيها غرف للدراسة، وأخرى لإقامة الطلاب الوافدين من مناطق الجبل الغربي والجفارة، ومن الجنوب أيضاً، كما أعد بها سكن لعدد من المعلمين المقيمين بالزاوية. أما جهودها فكانت تتوجه إلى تحفيظ القرآن الكريم، وتدریس العلوم الشرعية من فقه وحديث وسيرة وتفسير، إضافة إلى علوم اللغة، وقد تولى التدريس بها عدد من العلماء على رأسهم الشيخ الأمين الكميثي المشهور بالعلم والصلاح، كما أقام بها العالم عبد العزيز الشنقيطي، وهو من الحجاج الذين طابت لهم الإقامة في البلاد والإسهام بالتدريس في الزاوية⁽³⁾.

7. زاوية الجغبوب: أسسها الشيخ: محمد بن علي السنوسي الخطابي، المولود بالجزائر، وهي إحدى الزوايا التي أسست بالشمال الإفريقي على طرق القوافل في الصحارى والواحات،

1. ينظر: أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي: 265، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: 504/1.

2. ينظر: التذكار، لابن غلبون، تحقيق: الطاهر الزاوي: 271، 272، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: 504/1، وأعلام ليبيا، للطاهر الزاوي: 265.

3. ينظر: الحياة العلمية في الجبل الغربي، مصدر سابق: 107.

وأضحت إحدى المحطات لركب الحجاج المغاربة وبيت ضيافة للوافدين إليها والمارين بها، نزل الشيخ بالجبل الأخضر، وبني فيها أولى زواياه في ليبيا عام: 1275هـ، وسمّاها "الزاوية البيضاء"، وأنشأ بعدها عديد الزوايا بمختلف المناطق، تجاوز عددها اثنتين وسبعين زاوية، كان من مهامها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية والعربية.

وقد قامت زاوية الجغبوب بأعباء تعليمية داخل محيطها الريفي، واتسع نشاطها حتى وصل إلى وسط إفريقيا، وتخرج فيها عديد الحفاظ والدعاة، وألحق بالزاوية عدد من المنشآت، من بينها مسجد للصلاة، ومدرسة للتحفيظ، ومعهد للعلوم الإسلامية، ومساكن للطلاب الوافدين من خارج ليبيا (من إفريقيا وآسيا)، كما ألحقت بها مكتبة علمية، تعد من المكتبات المهمة في العالم الإسلامي، وقد أشار إليها الرحالة الحشائشي (ت: 1912م) (1) في رحلته التي زار فيها ليبيا أواخر القرن التاسع عشر، حيث مر بالجغبوب، فزار المكتبة، وأثنى عليها قائلا: "أما الكتب الموجودة بخزائنها فقد نيفت على ثمانية آلاف مجلد (2)".

الخاتمة: جُبل الإنسان على طلب المعرفة، والسعي المتواصل ليسلك سبيل التعلم بكل الطرق والوسائل، وجاء الإسلام ليعزز هذا الهدف من خلال الأمر بالقراءة في أول آية نزلت على سيدنا محمد ﷺ: {اقْرَأْ}، واتخذ لذلك جملةً من الطرق والوسائل، فكان ميدان تعليمه الأول هو المسجد، ثم تفرعت عنه الزوايا والكتّيب والرباطات والمدارس، وجميع هذه الأماكن والمسميات أدت دورها، وحققت هدفها، فكان المسجد ملاذ المسلمين الأول: مركزا للعبادة، وموطنا للاجتماع والتشاور، ومدرسة للتعليم، ومجلسا لتوثيق العقود، ومكانا لإبرام الصلح والمعاهدات، وتفرع عن المسجد أجنحة تعليمية وتربوية واجتماعية، فكانت الكتّيب والزوايا والرباطات التي تكفلت بجملة من الوظائف التي كان يؤديها المسجد في مراحل مختلفة، وهو ما تضمنته الورقة، والذي نجله في النتائج التالية:

1. محمد عثمان الحشائشي، أديب ورحالة ومؤرخ تونسي، زار طرابلس وبرقة وفزان أواخر القرن الثامن عشر، وخصّ الجغبوب ومدرسته بفصل، يعد من أهم المراجع عن الدور العلمي الذي قامت به الزاوية ومدرستها، كان والده من مشايخ جامع الزيتونة، من آثاره العلمية: جلاء الكرب، ورحلة الشتاء، وكتّاب في العادات والتقاليد، وله ديوان شعر، توفي سنة: 1912م. ينظر: رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 1895م، تحقيق علي مصطفى المصراحي: 17.

2. ينظر: الحياة الأدبية في ليبيا، لطف الماجري: 1962م.

أولاً: ملاذ المسلمين الأول ومكان تجمعهم كان المسجد، ففيه يجتمع الأمراء والرعية، والمعلمون وطلاب العلم، والجنود والقادة، وهي الوظيفة التي كان يؤديها مسجد رسول الله ﷺ.

ثانياً: حين عظمت مسؤولية المسجد وتنوعت الاختصاصات تفرعت عنه أجسام أخرى وهي الكتائب، والزوايا، والرباطات، فأوكل إليها عدد من مهام المسجد.

ثالثاً: هذه المسميات كان كل منهما يطلق على الآخر، والمؤرخون لا يميزون بين الزاوية والرباط، وإطلاق المصطلحين على المكان نفسه تم في القرن الثالث عشر الميلادي؛ نظراً لتداخل الوظائف، وكان ابن بطوطة يطلق على الزاوية اسم (الرواق).

رابعاً: الزاوية بمعناها اللغوي (الاعتزال والانزواء) كانت موجودة قبل الإسلام، فقد اعتزل الخليل إبراهيم قومه وأصنامهم، ومن بعد اختار نبينا محمد ﷺ الاعتزال بغار حراء؛ للتأمل والتفكير، ثم اختار الصحابي أبو ذر الخلوّ والابتعاد عن الفتنة.

خامساً: ظهرت الزوايا العلمية في المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي، وكانت بلادنا في المقدمة، وانتشرت في القرى والأرياف والصحارى والواحات، وكانت ملاذاً آمناً لطرق القوافل، وبيت ضيافة للحجاج وأبناء السبيل.

سادساً: أنيط بالزوايا عديد الوظائف والمهام في المجتمع، فأدّت دورها، وقامت بواجبها عبر مراحل الزمن، ووفق ما أتيح لها من الظروف والإمكانات.

سابعاً: من أبرز الأدوار التي ظهرت نتائجها في المجتمع تمثل في الدور التربوي والتعليمي، فكان تحفيظ القرآن ودراسة علومه، ودراسة علوم اللغة والأدب والتاريخ والفلك وغيرها. أما الوظائف الاجتماعية للزوايا فظهرت في التكافل الاجتماعي، وإبرام موثيق الصلح، وغيرها.

ثامناً: أسهم في إنجاح الدور التعليمي للزوايا تلك الجهود التي بذها علماء البلاد، الذين كان لهم دور يذكر فيشكر، بالإضافة إلى إسهامات عديد العلماء الزائرين، أو الذين طاب لهم المقام بالزوايا بعد عودتهم من رحلة الحج أو الرحلات العلمية إلى المشرق.

التوصيات: هذه الورقة البحثية إذ تؤكد على الدور الرائد للزوايا التعليمية عبر تاريخها في البلاد، فهي توصي بالاهتمام بإبراز هذا الدور، وإقامة المؤتمرات العلمية، والندوات

والمكتبات، مع التركيز على تنشيط هذا الدور وإحيائه، وتطويره وفق المتغيرات الزمنية، مع الاستفادة من التطورات العلمية، والاستعانة بوسائل التقنية الحديثة.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم: اعتمد في عد الآيات وأرقامها ما ورد بمصحف جمعية الدعوة الإسلامية "مصحف الجماهيرية".

ثانياً: الكتب والمجلات والدوريات:

- الإباضية في موكب التاريخ، لعللي يحي معمر، مكتبة وهبة، القاهرة.
- أعلام ليبيا، للطاهر الزاوي، مطبعة المدار الإسلامي، بيروت، دون تاريخ.
- البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، مكتبة المصارف، بيروت، الطبعة الخامسة.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني، لحسن إبراهيم، دار الجيل، بيروت: 1996م.
- تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، لعللي الصلابي، دار المعرفة، بيروت.
- تاريخ القراءات والقراء في المشرق والمغرب، لمحمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية بيروت: 2008م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.
- ترتيب المدارك وقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، للقاضي عياض، دار مكتبة الحياة بيروت.
- الحياة الأدبية في ليبيا، لطله الماجري، معهد الدراسات العربية القاهرة: 1962م.
- الحياة العلمية في الجبل الغربي، لعبد الحميد الهرامة، مجلة البحوث التاريخية، يناير: 1985م.
- دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، لمحمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.
- دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق التاريخية، لعبد الله الشريف والطور، الدار الجماهيرية للكتاب.

- الدولة العربية في أسبانيا، لإبراهيم بيضون، دار النهضة العلمية، بيروت: 1986م.
- رحلة التيجاني، لأبي محمد عبد الله التيجاني، الدار العربية للكتاب: ليبيا، وتونس.
- رحلة الحشاشي إلى ليبيا، تحقيق: علي المصري، دار البيان، الطبعة الأولى: 1965م.
- رسائل عبد السلام الأسمر إلى مريديه، لمصطفى رابعة، دار المدار الإسلامي الطبعة الأولى: 2006م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد إبراهيم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان.
- زاوية الشيخ بزيتن مسيرة عمرها أربعة قرون، للصادق يعقوب، مؤتمر الوثائق التاريخية، مركز الجهاد.
- الزوايا الليبية منارة علم ودين، لعبد العزيز الفضالي، مجلة أبي الهول، القاهرة، العدد العاشر: 2013م.
- سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد القزويني، تحقيق: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، لمحمد الذهبي، تحقيق: محمد شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، دار الكتب العلمية بيروت.
- شعب الإيمان للبيهقي، لأبي بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه: محمود نصار، دار الكتب العلمية بيروت: 2002م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار طيبة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن الجزري، دار الكتب العلمية: 1933م.
- فتح العرب للمغرب، لحسن مؤنس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.
- كتاب الوفيات، لابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة بيروت.

- لسان العرب، لابن منظور عمر بن مكرم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مؤسسة الزوايا في المغرب بين الأصالة والمعاصرة، لجمال الدين القادري.
- المخطوطات العربية في الجماهيرية: واقعها وآفاق الاهتمام بها، مجلة الدراسات العلمية في المكتبات،
لمحمد جرناز، يوليو: 1997م.
- المخطوطات العربية في المكتبات الليبية منذ الفتح الإسلامي، لمحمد كعبور، منشورات
جامعة المرقب، ط/1: 2013م.
- المذاهب الصوفية، لعبد الغني مدبولي، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، لعبد العزيز العكي، مكتبة الرياض.
- معجم البلدان الليبية، للطاهر الزاوي، مؤسسة الفرجاني: 1968م.
- ملاحح الحياة الثقافية والفكرية في ليبيا أواخر العهد العثماني، لمسعود عبد الله مسعود.
- المنهج التعليمي في تحفيظ القرآن الكريم بالكاتيب الطرابلسية، للعريني بشية.
- المنهاج في رسمية الرجراج، لعبد الواحد الرجراجي، الطبعة الأولى: 2002م.
- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لأحمد النائب الأنصاري، منشورات مكتبة
الفرجاني، طرابلس، ليبيا.
- النشاط الثقافي في ليبيا منذ الفتح الإسلامي، لأحمد مختار عمر، الجامعة الليبية: 1971.